

المحاضرة السادسة: الصورة الشعرية في النص الشعري المعاصر

تمهيد:

الصورة الشعرية مصطلح أدبي بدء في الظهور أواخر القرن التاسع عشر، وقد حمل المصطلح مفاهيم أخرى بديلة ومشابهة من قبيل: الصورة الفنية، التصوير الشعري، والصورة الأدبية وغيرها، وهي تعني في عمومها: عملية التفاعل بين منتج النص ومنتقيه، أو لنقل قدرة الشاعر في تحريك أحاسيس القراء ومشاعرهم، من خلال الرسم والتصوير باللغة، ويكون هذا التصوير بآليات لغوية متعددة يطلق عليها قديما الصور البيانية: كالتشبيه والاستعارة والكناية، ويطلق عليها حديثا الخيال: كالانزياح والمفارقة والإيحاء والخواطر والعواطف.

الصورة الشعرية بنت خيال الشاعر وأفكاره ورؤيته للعالم، تتجسد في النص عن طريق اللغة، فهي نقل للعواطف وللمعاني العقلية بواسطة أساليب لغوية متعددة مثل المشابهة والتجسيد والتشخيص والتجريد، ومن ثمة فإن الصورة الشعرية ترد في النص صوراً بسيطة أو مركبة أو كلية، لأنها امتزاج للغة بالعاطفة والخيال.

أولا آليات تحقق الصورة الشعرية في النص:

تتحقق الصورة الشعرية باللغة عن طريق مجموعة من الآليات الشعرية، التي تحول الخيالات والعواطف والأحاسيس إلى صور شعرية. ولعل أبرز هذه الآليات ما يأتي:

الرمز والإيحاء: يسهم الرمز في اختصار الدلالة وتكثيفها وذلك عن طريق إيحاء الكلمات بمعان يفهما القارئ من خلال القرائن الموجودة في النص، فجملة " يطير الحمام" هو ترميز لغياب السلام في الوطن بناء على السياق العام الذي وردت فيه.

الأسطورة: إذا كانت الأسطورة هي حكاية مقدسة ذات مضمون عميق فإنها تكشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان، وبفضل الأسطورة يستطيع الشاعر تفجير الدلالات التي تسهم في صناعة الصور الشعرية.

التشبيه: التشبيه هو نقل صورة من ذهن الكاتب إلى ذهن القارئ عن طريق اللغة، وهذا النقل يتم داخل الذهن، ويتجسد عن طريق اللغة اختصاراً وحذفاً، فحين نريد صناعة صورة للشجاعة نشبه بالأسد فنصنع صورة ذهنية بلغة شعرية.

المجاز هو استعمال الألفاظ في غير موضعها للمبالغة في رسم صورة عن الشيء المراد وصفه أو التعبير عنه، كقولنا كلامك درر فالدرر هنا صورة مجازية عن المبالغة في وصف الكلام.

ثانياً: غايات توظيف الصور الشعرية

يمكن القول أن الصورة الشعرية ضرورة في الشعر وليست خياراً، ذلك أنها وسيلة فعالة لنقل التجارب والأفكار، فلا يمكن إهمال الدور الذي يمثله الجانب الحسي في مجال مدركاتنا، فهو من أهم وسائل التأثير سيكولوجياً، فالتقديم الحسي يساعدنا كثيراً على فهم الصورة الفنية، وإظهار مجال الجمال والإبداع فيها، خاصة فيما ارتبط بتصوير المعنويات أو الأمور المجردة التي لا تخضع إلى المشاهدة ولا تدرك بالمعاينة. وهذا الذي يعتمده الفن والأدب.

لا يبدو أمر الصورة في أهميتها حكراً على الشعراء والأدباء وحدهم، بل للصورة الفنية أهمية لدى جميع البشر فالناس في أحاديثهم اليومية، عادة ما يستعينون بهذا التجسيد الحسي في تقريب واقعهم الخارجي، أو تقرير عالمهم الداخلي، قصد توضيح حقيقة غير مرئية أو غير مشاهدة.. ويبقى السؤال: هل الصورة الشعرية هي نتاج رؤية بصرية دوماً؟

إنّ الصورة ليست نتاج رؤية بصرية دائماً، إذ إنّ هناك صوراً تتكوّن من عناصر تجريدية بحتة، لا علاقة لها بالبصر مطلقاً، ولعلّ هذا ما جعل أغلب النقاد الغربيين المعاصرين يتجاوزون المفهوم البصري للصورة، لأنّ الناس كما قال (أوستن وويليك) يختلفون اختلافاً شديداً في درجة تبصّرهم، وها هو (إزرا باوند) -منظر الحركات الشعرية المعاصرة-، يتسوّر في تعريفه الذي صاغه للصورة الفنية الدلالة التجسيمية التي اعتنقها أصحاب الاتجاه المادي أو (التصويري) في الشعر، إذ يقول عنها: هي «تلك التي تقدّم عقدة فكرية أو عاطفية في برهة من الزمن». ومن هنا، اكتسبت الصورة الفنية مفهوماً جديداً، لتصبح كلاً متكاملًا، تمتزج فيها المصادر الخارجية من حسّية وموضوعية بالذات الشاعرة.

وثمة ملاحظة وجب ذكرها هاهنا، ذلك أنّ الدلالة الحسّية التي ارتبطت بالصورة الفنية، جعلت بعض النقاد والدارسين المحدثين والمعاصرين يميلون إلى

الأخذ بمصطلح (الاستعارة) بدلا من مصطلح (الصورة)، خاصة، عند (ريتشاردز) الذي يقول: «والصورة نفسها مضلّلة، إذ إننا لو لم نحذرها، لانتبهينا إلى أنّ الصورة تقدّم إدراكا حرفيا لشيء موجود بالفعل» ويقول جون مدلتون مري «كلّ ما يقال عن الصورة في الشعر، يمكن أن يصب في الاستعارة.»

والظاهر عند هؤلاء النقاد، أنّ مصطلح (استعارة) أعمّ وأشمل من مصطلح (صورة)، هذا الذي لا نجده عند بعضهم الآخر من النقاد والدارسين المحدثين. فـ (كارولين سبرجن) – مثلا – ترى أنّ الصورة مصطلح عام، ينضوي تحته الأسلوب التشبيهي والاستعاري والمجازي بوجه عام. تقول: «إنني أستعمل مصطلح صورة هنا، بحيث يشمل كل من (التشبيه) و (التشبيه المضغوط المرکز)، وأقصد به (الاستعارة). إنّ مصطلح (صورة) يجب أن نفهمه على أنّه يتضمّن كلّ صورة خيالية يعبر عنها الشاعر، بواسطة انفعاله وتفكيره، سواء أكانت هذه الصورة الخيالية تشبيها، أم استعارة، بما تحمله الكلمات من معنى رحيب، لذ ينبغي أن نبعد عن قولنا الإيحاء الذي يجعل المصطلح معبرا عن الصورة البصرية فقط.

خاتمة:

يمثل موضع الصورة الشعرية تيمة من تيمات قضايا الشعر الحديث والمعاصر، بما هو مبحث جامع بين المرسل والمرسل إليه، وبما هو قضية فنية بصرية لغوية. وكل استثمار لقدرات تشكيل الصورة عند الشعراء يوصل الشعراء إلى مصاف الخطاب المانع المتميز.